وضوح إيراني يقابله وضوح لبناني

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

مضت أيام على كلام العميد مرتضى قرباني مستشار قائد "الحرس الثوري" الإيراني الذي قال: "في حال ارتكبت إسرائيل أصغر خطأ تجاه إيران، سنسوّي تل أبيب بالتراب انطلاقا من لبنان". الملفت في الكلام وضوحه، خصوصا عبارة "انطلاقا من لبنان". ما هو ملفت أكثر صدور توضيح من "الحرس الثوري" لا يوضّح شيئا. معنى ذلك أنّ كلام قرباني يمثل بطريقة أو بأخرى وجهة النظر الرسمية لـ"الجمهورية الإسلامية" التي ترى في لبنان مجرّد ورقة. تُستخدم الورقة اللبنانية في خدمة مشروع توسّع إيراني. يختزل هذا المشروع الشعور بالفخر الذي راح يظهره مسؤولون إيرانيون بعد وضع الحوثيين، "أنصار الله"، يدهم على صنعاء في الواحد والعشرين من أيلول- سبتمبر2014. وقتذاك، تبجّح غير مسؤول في طهران بأن "الجمهورية الإسلامية" صارت تتحكّم بأربع عواصم عربية هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء.

في 2019، على الرغم من مرور ستة عشر عاما على تسليم أميركا العراق على صحن من فضّة إلى إيران، أظهرت بغداد أنّها عصيّة على طهران. يظهر العراقيون بكلّ انتماءاتهم الطائفية والمذهبية يوميا أنّهم يرفضون الرضوخ للاستعمار الإيراني. يتحدّون آلة القمع الإيرانية المتمثّلة في ميليشيات مذهبية دخلت بغداد في نيسان- أبريل من العام 2003 على ظهر دبابة أميركية!

بالنسبة إلى دمشق، سيتبيّن يوما أن الثورة التي اندلعت في آذار- مارس 2011 مستمرّة، وأنّه ليس طبيعيا أن تتحوّل عاصمة الأمويين إلى مدينة تحكمها إيران، مهما ذهبت بعيدا في الاستثمار في عملية تغيير التركيبة السكانية للمدينة والمناطق المحيطة بها.

بالنسبة إلى صنعاء، لا يمكن للمدينة العريقة إلا أن تستفيق يوما. هناك ظلم تاريخي لحق بالعاصمة اليمنية، خصوصا بعد إصرار الحوثيين في مثل هذه الأيّام من العام 2017 على اغتيال علي عبدالله صالح بدم بارد، وذلك كي لا يكون لديهم شريك في حكم العاصمة والمناطق الواقعة تحت سيطرتهم والتحكّم بها على نحو مطلق. ليس منطقيا بقاء صنعاء في أسر التخلّف والبؤس وشعار "الموت لأميركا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود" وذلك من أجل تنفيذ سياسة إيرانية تستهدف، انطلاقا من اليمن، كلّ دولة من دول الخليج العربي، في مقدّمها المملكة العربيّة السعودية.

> **هناك بكل بساطة وضوح إيراني ليس بعده وضوح. هناك في المقابل وضوح لبناني ليس بعده وضوح أيضا. عبّر عن ذلك المطران عودة رجل الدين الاستثنائي الذي يعرف تماما طبيعة التحديات التي تواجه لبنان، وتلك التي تواجه الكنيسة الأرثوذكسية بالذات أيضا**

تبقى بيروت التي ترفض أن تكون مدينة بلا حياة وتحت سيطرة ثقافة الموت التي يسعى "حزب الله" إلى فرضها عليها. بيروت ما زالت تقاوم. كان آخر تأكيد على ذلك عظة للمطران إلياس عودة، مطران بيروت للروم الأرثوذكس. كانت العظة في ذكرى استشهاد الأخ والزميل والحبيب جبران تويني قبل أربعة عشر عاما. كان المطران عودة شديد الوضوح في وصف ما يعاني منه لبنان، خصوصا أن الجميع يعرف من وراء اغتيال جبران تويني ولماذا اغتيل رجل آمن بلبنان وبثقافة الحياة فيه، رجل استطاع تحويل جريدة "النهار" العريقة إلى أداة مقاومة من أجل استعادة لبنان حريته وسيادته واستقلاله. قال المطران عودة بالحرف الواحد "هل نعيش في جمهورية أصنام أم جمهورية دمى؟ هذا البلد يُحكم اليوم من شخص تعرفونه جميعكم ولا أحد يتكلّم. ويحكم من جماعة بقوة السلاح. المسؤولون خائفون من صوت الحق والحقيقة، خافوا من هذا الصوت ولم يحترموه".

هناك بكل بساطة وضوح إيراني ليس بعده وضوح. هناك في المقابل وضوح لبناني ليس بعده وضوح أيضا. عبّر عن ذلك المطران عودة رجل الدين الاستثنائي الذي يعرف تماما طبيعة التحديات التي تواجه لبنان، وتلك التي تواجه الكنيسة الأرثوذكسية بالذات أيضا. يوجد من يريد جرّ الكنيسة إلى أن تنضمّ إلى المدافعين عن "حلف الأقلّيات" الذي تقف إيران خلفه. لا حاجة بالطبع إلى الدخول في تفاصيل متعلّقة بـ"حلف الأقلّيات"، الذي يخدم في المدى الطويل دولة عنصرية هي إسرائيل. ولا حاجة إلى توصيف الجهود التي يبذلها النظام السوري، وهو نظام أقلوي، من أجل تحويل هذا الحلف إلى حقيقة بمشاركة إيران ورعايتها. لكنّ الأكيد أن "حلف الأقلّيات" هو مقبرة للمسيحيين المشرقيين، بما في ذلك الموارنة. وهذا ما يدركه رجل انفتاح مثل المطران عودة الذي اضطر أخيرا إلى تسمية الأشياء بأسمائها متفاديا ذكر أسماء العَلَم التي لا تبدو في حاجة إلى من يذكرها لشدّة ما هي معروفة.

مثل هذا الوضوح اللبناني في مقابل الوضوح الإيراني يعوّض إلى حدّ كبير عن تقصير الدولة التي تمرّ في أزمة عميقة على كلّ المستويات، أزمة من نوع لا سابق له منذ قيام لبنان الكبير قبل نحو قرن. صحيح أن ما يجري في لبنان يبقى تفصيلا مقارنة مع ما يجري في العراق حيث سيتحدد مستقبل النظام الإيراني والمعالم المقبلة للمنطقة، لكنّ الصحيح أيضا أن لبنان مصرّ على المقاومة من جهة، وعلى أن يبقى فيه من هو قادر على قول الحقيقة في أحلك الظروف وأقساها من جهة أخرى.

هناك في لبنان من يعرف تماما أنّه لو كانت إيران قويّة بالفعل ومرتاحة إلى وضعها، لما وجدت نفسها مضطرة لقول كلام من النوع الذي صدر عن مستشار قائد "الحرس الثوري". مثل هذا الكلام عن "تسوية تل أبيب بالأرض انطلاقا من لبنان" يؤكد الضعف الإيراني. إنّه ضعف في القدرة على مواجهة الحقيقة بدل الهرب منها.

تقول الحقيقة بكل بساطة إن إيران عانت وتعاني من العقوبات الأميركية، وأن لبنان يعاني أيضا من هذه العقوبات التي جلبها على مصارفه إصرار واشنطن على ملاحقة الأذرع الإيرانية في المنطقة، من بينها "حزب الله". لقد آن أوان الإفراج عن لبنان الأسير الذي تعتبره إيران مجرّد "ساحة". آن أوان أن تظهر إيران أنّها لا تسعى سوى إلى نشر البؤس في المنطقة. لديها مخرج كي تؤكّد أنّها تغيّرت فعلا، وأنّها تعلّمت من تجربة العقوبات الأميركية. يظلّ لبنان نقطة البداية التي تستطيع الانطلاق منها في حال كانت لديها رغبة في استيعاب أن مشروعها التوسّعي إلى تراجع، وأن لا مستقبل لها لا في العراق ولا في سوريا ولا في لبنان، ولا حتّى في اليمن حيث لا أفق سياسيا أو اقتصاديا للمشروع الحوثي.

من هذا المنطلق، من الأفضل لإيران تقبّل وضوح المطران إلياس عودة، وأن تفرج عن الحكومة اللبنانية الجديدة عن طريق ضبط أدواتها وأدوات أدواتها من المسيحيين. فحكومة لبنانية معقولة ومقبولة من المجتمع الدولي ومن العرب تبقى الطريق الأقصر لمنع انهيار البلد.

هل تؤدي "الجمهورية الإسلامية" هذه الخدمة للبنان، أم تبقى أسيرة أوهام من نوع كلام مستشار قائد "الحرس الثوري" الإيراني الذي حاولت توضيحه من دون أن تنجح في ذلك؟

«ترويض» إيران رهان وحيد لإدارة ترامب

واشنطن تفادت محاولة نتانياهو توريطها بحرب إقليمية

زهير قصيباتي
كاتب وصحافي لبناني

الخلاف الأميركي الإسرائيلي الصامت أرجأ مرتين خطة لدى بنيامين نتنياهو لشن ضربات عسكرية يريدها "جراحية" تستهدف ما تردد في إسرائيل أنها مواقع لإنتاج صواريخ في لبنان. يقول مصدر مطلع إن هذا الخلاف ليس مردّه حرص إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب على تجنيب لبنان ويلات حرب، قد تدفع "حزب الله" على الأرجح إلى توسيع دائرتها لتشمل الساحة السورية ومواقعه فيها والانتشار العسكري الإيراني هناك. الرهان الأميركي على عصا العقوبات التي ألمت طهران والحزب، في ظل شبه إفلاس لبناني، كسب جولتين على نتنياهو الذي كان متحمسا لخلق معادلة جديدة تشمل سوريا ولبنان، وتبديل قواعد الاشتباك مع الحزب، فيما طهران منهمكة بمعركة العقوبات الأميركية التي كانت الانتفاضة الإيرانية الأخيرة أبرز تداعياتها.

واشنطن فضلت عدم الاستسلام لطموحات نتنياهو، لتتفادى توريطها تحت غطاء معاهدة الدفاع المشترك بين الولايات المتحدة وإسرائيل. استراتيجية ترامب معروفة، ومعركته الأساسية في الداخل، مع جهود الديمقراطيين لعزله في ما يعتبرونه فضيحة "أوكرانيا غيت".

القرار الأميركي هو ترك الانهيار والزلزال العراقي يتفاعلان، فمع الانتفاضتين تأمل إدارة ترامب أن تسجل انتصارا كبيرا بإذعان النظام الإيراني لشروطها وجره إلى المفاوضات، بعد تقليم أظافره إقليميا. لكن الأكيد أنها معركة طويلة يراهن ترامب على جعل الانتصار فيها أبرز إنجازاته في حملته الانتخابية العام المقبل.

في بيروت السؤال اليوم هل يكون نداء باريس شارة البداية لتفكيك العلاقة بين لبنان والمحور الإيراني؟ بالأحرى لتمزيق مظلة الوصاية على البلد؟

قانون واحد هل يبدد حلم اقتلاع قلاع الفساد وحراسها الذين باعوا العراق ليستثمروا في جيوبهم وجيوشهم؟ هل ينكفئ الثوار بمجرد استرضائهم بقانون انتخابات، الطريق إلى تنفيذه مزروعة بألغام الميليشيات "الوطنية" والعميلة؟

العشرات من الأسئلة تستنسخ ذاتها في حرب استقلال يخوضها اللبنانيون والعراقيون على خارطة تغنت إيران بجعلها الخط الأمامي لمنازلة "الأعداء". وليس اللغز هنا أن ندرك هوية هؤلاء ولا كم دفع العراقيون واللبنانيون من دمائهم، فيما كانت طهران توسع خارطة هلالها وتنصّب لحراسته طبقة من المرتشين بالمال والسلطة.

هي معركة حياة أو موت للمنتفضين في لبنان والعراق، قسوتها أنها بالمثل معركة مصير للنظام الإيراني، ليس فقط إقليميا بل كذلك في الداخل، وكل "تنازل" في ساحة سيستتبع تنازلات في الساحات الرديفة. كلما تجددت شعلة الانتفاضة في إيران باتت مسافات انتفاضتيْ اللبنانيين والعراقيين أقصر.

ومرة أخرى، ورغم كل التضحيات من بغداد إلى بيروت، يدرك الجميع أنه ليس سهلا وضع نهاية لعصر ابتذال السياسة وتقزيم دول إلى كيانات ترانزيت يحميها لصوص يلتحفون شعارات العفة، التي تتبدل وفق الحاجة، وتتبدل معها طموحات الهيمنة المجنونة، لتختار تارة طريق القدس، وأخرى جنوب لبنان، وثالثة خط الهلال إلى موطئ قدم على البحر المتوسط.

ليس يسيرا توقع انتصار الانتفاضة في شهرين أو ثلاثة أو ستة. لم يخمد "الحرس الثوري" نارها الكامنة تحت الرماد في إيران، ولا اطمأن الشباب العراقي إلى أن دماء 500 شهيد كافية ثمنا للحرية والكرامة واستبدال الدولة العادلة بدولة الممر وذل الوصاية. في أول اختبار لم يصمد البرلمان العراقي. ذهنية الحصص قاومت تمرير قانون جديد للانتخابات، فطارت جلسة النواب.

لم يكن متوقعا للبنانيين أن تمارس دول الدعم دور الساحر في باريس فتنتشلهم من فكي الجوع بعدما أمعن الساسة وتحالف السلطة والمال في إذلالهم ولم يتركوا شيئا لهم من حقوق لطالما تغنوا بها فرادة بين لبنان ومحيطه العربي. العصر الإيراني كان أقوى وجردهم من مقومات الحياة في زمن سموه الصمود أمام أطماع إسرائيل.

الصمود مرير مع بطون خاوية في زمن تقنين الطعام والمياه والكهرباء والأحلام.

ولعل المنتفضين وحدهم لم تصدمهم لغة الإنذار التي استخدمتها فرنسا بعد مؤتمر الدعم المشروط، وهي لغة تتعاطف مع مطالب اللبنانيين وتدين عمليا جشع المسؤولين الذين نصحتهم باريس بتبديل أولوياتهم من المصالح الجشعة، إلى مقتضيات إنقاذ بلد ودولة في العناية الفائقة.

المعركة طويلة بل ما زالت في بداياتها. لا الانتفاضة في لبنان ولا توأمها في العراق ككل ثورة أو أي ثورة.

في المنطقة الخضراء في بغداد يجول قاسم سليماني، يراقب المنتفضين من خلف أسوارها ويسمع شعاراتهم قبل إعطائه السياسيين والتكتلات والتحالفات كلمة السر الإيرانية، ففي العراق لا يمكن لطهران لعب ورقة التشيع السياسي، والذين أحرقوا القنصلية الإيرانية شيعة انتفضوا على عهد الوصاية الذي بدل الوجوه مرات في المنطقة الخضراء، وفي كل مرة تتمدد قائمة الاستزلام والمنتفعين، ويتضاعف الفقراء.

والحال أن أحدا من المنتفضين في شوارع بغداد وكربلاء والنجف والبصرة والناصرية لم تفاجئه خلافات الكتل في البرلمان والتي كانت عادة من ضرورات الحياة السياسية منذ تكرس نظام المحاصصة. الأهم أن مخاض قانون الانتخاب الذي تريده الانتفاضة عادلا، قد يستغرق شهورا.

والمهم أيضا أن ورطة الوصيّ الإيراني لا تقل وطأة عن مأزق الطبقة السياسية التي اعتادت أن تبلغها وجهة البوصلة، لتتحرك. واليوم تواجه هذه الطبقة مصيرها، فلم يعد الهاجس من ينتزع حصّة أكبر في الحكومة، الهاجس أن الجميع دخل مرحلة الرعب، فكل تنازل سيفرض تنازلا آخر، وكلّ من أركان تلك الطبقة واثق بأن المخرج الوحيد المتاح هو "الاستسلام" لبرنامج الانتفاضة، أي الانتحار السياسي ببطء، فيما البديل هو المزيد من الرضوخ للإرادة الإيرانية، أي اقتياد العراق إلى حروب أهلية طاحنة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk